بسم الله الرحمن الرحيم

مادة السيرة

الحســام المسنــون

على من طعن فى شخص الرسول

لتعدد زواجه من أمهات المؤمنين

إعداد

ياسر جابر

خريف 2011م

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وبعد؛

فمن العجيب أن تجد من يهاجمك فى شأن من شؤون حياتك قبل أن يعرف أو يفهم أو يسأل عن السياق الذى يحكم عندك هذا الشأن بل ويخضع أمورك الحياتية لسياقات حياته الخاصة ، وهؤلاء كمن يقرأ سورة الحجر بفتح الحرفين الحاء والجيم ومثل من يقرأ اسم النسائى بكسر النون المشددة ، دون أن يضع الألفاظ فى سياقها اللغوى. والسبب الرئيسى غالبا تلك الغربة الغريبة عن الثقافة الإسلامية سواء ممن ينتمون إليها تضمنا أو ممن يحاولون سبر أغوارها ولا ينتمون إليها.

هذا الذى ذكرناه يتجلى بوضوح مع تعامل هؤلاء مع قضية تعدد أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، فهؤلاء اعتبروا التعدد دليل إدانة قبل أن يسألوا عن حقيقة هذا الأمر والحكمة منه ، وهل له علاقة بالسماء ، و ما طبيعة هذا الزواج وظروفه وأسبابه الحقيقية ، ولو أنهم فعلوا ذلك عل الأقل عملا بمقتضيات البحث العلمى ومناهجه التى يتشدقون بها ليل نهار ، ثم لم يصلوا إلى شىء يدفعون به التهمة أو الإدانة لقلنا أنهم منصفون، لكن أعيتهم الحيلة لتباعد الثقافة واللغة .

وقد وقع فى هذا الخطأ الكثير من المستشرقين وتلامذتهم من المتأسلمين ، بل وبعض السياسيين فى بعض المؤتمرات.

وفى هذه السطور سنحاول رد هذه الشبهة أو هذا الافتراء ببيان الحكمة من تعدد زوجات النبى صلى الله عليه وسلم ودلالة كل زيجة ، وندفع بمجموعها طعن الطاعنين على الصادق الأمين ، ورحمة الله للعالمين .

والله تعالى ولى التوفيق

زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم

ودلالات الزواج من كل واحدة

1- زواجه من السيدة خديجة رضى الله عنها.

تشهد كتب التاريخ أن السيدة خديجة هى التى طلبت الزواج من النبى صلى الله عليه وسلم وكانت من أوسط قومها نسبا وكانت امراة ذات شرف ، وكان قد توفى عنها زوجها فطمع فى الزواج منها رجال قومها وهى تضن بذلك عليهم إلى أن وجدت مطمحها ومطمعها فى محمد صلى الله عليه وسلم حيث الأمانة والصدق والشرف وما يرجى مستقبلا من النبوة والكرامة وكانت تعلم شيئا عن هذا من ابن عمها ورقة بن نوفل. فهل على الرسول صلى الله عليه وسلم تثريب أن يوافقها طلبها؟! إن لموافقة النبى صلى الله عليه وسلم دلالة كمال فى نفسه كما كان طلب خديجة الزواج منه دليل كمال فى نفسها لأن كليهما لم ينشد فى الآخر إلا جواهر الكمال. سيما وهى المرأة البالغ العاقل الرشيد. وكان - عليه الصلاة والسلام - في سن الخامسة والعشرين وظلت معه وحدها حتى توفيت وهو في سن الخمسين.

وأثبتت الأيام أن السيدة خديجة كانت نعم المعين والمواسى والملاذ لزوجها عند اشتداد الخوف وحلوكة الأيام والليالى.

وأثبتت الأيام أيضا وفاء النبى صلى الله عليه وسلم لها حتى بعد وفاتها حتى أن بعض أزواجه وجدن من الغيرة بسبب هذا الوفاء والامتنان .

2- زواجه من السيدة سودة بنت زمعة رضى الله عنها.

لم يتزوج النبى صلى الله عليه وسلم بها إلا بعد وفاة خديجة رضى الله عنها وكانت ممن أسلم قديما وممن هاجر الهجرة الثانية إلى الحبشة وكان زوجها **السكران بن عمر**، وكان قد أسلم وهاجر معها فمات بأرض الحبشة أو بعد الرجوع

إلى مكة . فلما حلت؛ خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزوجها 1، وكان له صلى الله عليه وسلم حكمة فى ذلك:

1- ليعولها حيث أصبحت أرملة لا عائل لها وفى ذلك حث للمسلمين أن يقتدوا به فى الزواج من الأرامل والإحسان إليهن وعدم الإكتفاء بالبكور .وهوالقائل صلى الله عليه وسلم :" الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله".

2- لحاجة بناته الأربع إلى أم بديلة ترعاهن وتبصرهن بما تبصر به كل أم بناتها.

3- زواجه من عائشة رضى الله عنها.

بنى النبى صلى الله عليه وسلم بعائشة فى المدينة فى شوال من السنة الأولى من الهجرة. 2 وكان زواجه من عائشة –رضي الله عنها- بوحي من السماء، حيث رآها في المنام ورؤيا الأنبياء وحي والنصوص ثابتة فى ذلك من سنته صلى الله عليه وسلم. فليس للنبى فى ذلك إرادة ولا مشيئة ، حتى أنه صلى الله عليه وسلم كان يتعجب من ذلك الذى يراه فى منامه فيقول: إن يرد الله ذلك يمضه. ولما وقعت حادثة الإفك واستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه قال له بعضهم : أليس الله زوجكها ؟ فإن أذن لك فى طلاقها فطلقها. وكانت رضى الله عنها البكر الوحيد التى تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم ولم يتزوج بكرا غيرها وفى ذلك دلالة أنه لم يكن يتزوج لأسباب جنسية ؛سيما والبكر الوحيد التى تزوجها كان بأمر الله تعالى لا باختياره. ومعظم زوجاته اللاتى اختارهن كن أرامل.

وطالما أن عائشة كانت اختيارا إلهيا فلابد وأن تكون الحكمة من وراء ذلك عظيمة؛ إذ أنها كانت صغيرة السن، ونابهة ونسَّابة وتحفظ الشعر وكلام العرب وهى من بيت الصَدِيق والصِدّيق ، وامرأة ؛هذا شرفها وهذا علمها يرجى منها الكثير فى نقل حياة الرسول فعلا وقولا وتقريرا ووصفا للأمة من بعده ولعشرات السنين .

وأما أن النبى صلى الله عليه وسلم بنى بها وعمرها تسع سنوات ، فما المانع طالما أنها تأهلت لتكاليف الزواج ومسؤولياته ، ومعروف أن المرأة فى البيئات الحارة مثل الجزيرة العربية تنضج مبكرا عن غيرها من البيئات الباردة ، وهذا حاصل حتى الآن فى بلاد المسلمين .

1- هذا الحبيب محمد يامحب ،أبو بكر الجزائرى مكتبة العلوم والحكم 2004 ط4 ، ص314.

2- الرحيق المختوم ، صفى الرحمن المباركفورى، المكتبة العصرية ، بيروت 1430هـ،ص434.

4- زواجه من حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما.

تزوجها بعد وفاة زوجها إكراماً لأبيها فى السنة الثالثة من الهجرة، ولتصبح إحدى أمهات المؤمنين. وكانت قبله تحت خنيس بن حذافة السهمى 1. وإذا لم يكرم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب من أصحابه المقربين فمن يكرم إذن ، وقد كان عمر يحب أن تكون بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم نوع مصاهرة. بل كان بعض صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم يتمنى مصاهرة عمر فى ابنته حفصة وما منعهم إلا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها .ثم إن حفصة من جملة الأرامل اللاتى آواهن الرسول إليه وآنسهن بالقرب منه. ولو كان الأمر على ما يفهمه الطاعنون ، فلقد كان صلى الله عليه وسلم فى غنى عن كل ذلك بعائشة البكر الصغيرة.

5- زواجه من زينب بنت خزيمة رضى الله عنها

استشهد زوجها في أحد فتزوجها سـ 4هـ. وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يتزوج الأرامل لأكثر من سبب من ذلك :

1- رحمة منه صلى الله عليه وسلم . 2- الوفاء للشهداء بإعالة أهاليهن.

3- كان النبى صلى الله عليه وسلم هو الراعى والمسؤول الأعلى فى الدولة ويرى أن لهؤلاء حقوق مستحقة عليه. 4- تشجيع الآخرين على فعل ذلك اقتداء وطلبا للأجر وقربة إلى الله تعالى.

6- زواجه من أم سلمة المخزومية رضى الله عنها

وهى هند بنت أبى أمية وكانت عند أبى سلمة بن عبد الأسد شهيد أحد رضى الله عنه ، فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة 4هـ . رغم كونها أرملة وكان لها أولاد وكانت أمرأة مسنة ، وكانت شديدة الغيرة . وذلك للأسباب التى ذكرتها عاليا فى الرحمة بالأرامل وإكرامهن وإعالتهن ... أضف إلى ذلك **الحكمة التالية:**

يذكر صاحب الرحيق المختوم : كان من تقاليد العرب ؛ الإحترام للمصاهرة ، فقد كان الصهر عندهم بابا من أبواب التقرب بين البطون المختلفة ، وكانوا يرون مناوأة ومحاربة الأصهار سبة وعارا على أنفسهم ؛ فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بزواج عدة من أمهات المؤمنين أن يكسر سورة عداء القبائل للإسلام ويطفيء

1- المرجع السابق : ص434.

حدة بغضائها ، وكانت أم سلمة من بنى مخزوم حى أبى جهل وخالد بن الوليد، فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقف خالد من المسلمين موقفه الشديد بأحد بل أسلم بعد مدة غير طويلة طائعا راغبا . 1

7- زواجه من زينب بنت جحش رضى الله عنها

وهى زينب بنت جحش بن رباب من بنى أسد بن خزيمة ،وهى بنت عمة رسول الله ، وكانت تحت زيد بن حارثة الذى كان يعتبر ابنا للنبى صلى الله عليه وسلم .

وهذا النكاح كان لنقض تقليد جاهلى متأصل ، وهى قاعدة التبنى . وكان للمتبنى عند العرب فى الجاهلية جميع الحرمات والحقوق التى كانت للإبن الحقيقى سواء بسواء .وكانت قد تأصلت تلك القاعدة فى القلوب،بحيث لم يكن محوها سهلا،لكن كانت تلك القاعدة تعارض معارضة شديدة للأسس والمبادئ التى قررها الإسلام فى النكاح والطلاق والميراث وغير ذلك من المعاملات ، وكانت تلك القاعدة تجلب كثيرا من المفاسد والفواحش التى جاء الإسلام ليمحوها عن المجتمع . ولهدم تلك القاعدة أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن ينكح ابنة عمته زينب بنت جحش ، وكانت تحت زيد ، ولم يكن بينهما توافق ، حتى هم زيد بطلاقها وذلك فى ساعة تألب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، وكان رسول الله يخاف دعاية المنافقين والمشركين واليهود،وما يثيرونه من من الوساوس والخرافات ضده ، وما يكون له من الأثر السئ فى نفوس ضعفاء المسلمين ، فأحب أن لا يطلق زيد ، حتى لا يقع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الإمتحان .

ولا شك أن هذا التردد والانحياز كان لايطابق مطابقة تامة للعزيمة التى بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعاتبه الله على ذلك وقال :"وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه :أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ،وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه " الاحزاب. وأخيرا طلقها زيد ، وتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أيام فرض الحصار على بنى قريظة بعد أن انقضت عدتها . وكان الله قد أوجب عليه هذا النكاح ، ولم يترك له خيارا ولا مجالا ، حتى تولى الله ذلك النكاح بنفسه يقول :" فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا ". وذلك ليهدم قاعدة التبنى فعلا كما هدمها قولا : "ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله " " ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبين " الأحزاب . 2

1- المرجع السابق:ص436. 2- نفسه ص 437 - 438 .

8- زواجه من جويرية بنت الحارث رضى الله عنها .

أبوها الحارث سيد بنى المصطلق من خزاعة . وكانت السيدة جويرية فى سبى بنى عبد المصطلق فى سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابتها وتزوجها فى شعبان سنة 6هـ . فهذا من عظيم نبله ورحمته صلى الله عليه وسلم أن يقضى عنها محنتها ثم يشملها بالرعاية والإعالة .

وكان فى الزواج منها تأليفا لقبيلتى بنى عبد المصطلق وبنى النضير فلم ير منهما أى عداء أو استفزاز بعد ذلك ، وكانت جويرية أعظم النساء بركة على قومها فقد أطلق الصحابة أسر مائة بيت من قومها حين تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولا يخفى ما لهذا المن من الأثر البالغ فى النفوس. 1 وقد جاء القوم جميعا مسلمين فيما بعد ، فما أعظم الحكمة النبوية فى التعامل مع الأحداث.

9- زواجه من حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب رضى الله عنها

كانت تحت عبيد الله بن جحش ، هاجرت معه إلى الحبشة فارتد عبيد الله وتنصر وتوفى هناك ، وثبتت أم حبيبة على دينها وهجرتها 2 ، وأغلقت باب دارها عليها وعلى ابنتها لا تدرى ما يخبىء لها الغد ، وإذا بالرحمة المهداة يرحم هذه الأرملة الغريبة التى لا زوج لها ولا أهل، فيرسل عمرو بن أمية الضمرى بكتابه إلى النجاشى فى المحرم سنة 7هـ ؛ فخطب عليه أم حبيبة فزوجها إياه وبعث بها مع شرحبيل بن حسنة . فهل يجد الطاعنون على تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم مثل هذه الرحمة فى قلوبهم؟!!

ولقد كان لزواج النبى صلى الله عليه وسلم من أم حبيبة الأثر الطيب على أبى سفيان زعيم المشركين بمكة وقائد حروبها ضد الإسلام ؛ سيما غزوة أحد والأحزاب ،فلم ير منه عداوته القديمة ولم يواجه الرسول بأى عداوة بعدها . وكان من تتمة ذلك أن دخل فى الإسلام .وأصبح مناصرا للرسول صلى الله عليه وسلم. وكانت هذه إضافة قوية للإسلام والمسلمين لأن الناس بعدعا تتابعوا على الدخول فى دين الله أفواجا .

10- زواجه من صفية بنت حى بن أخطب رضى الله عنها

كانت من بنى اسرائيل من سبى خيبر فاصطفاها رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه بعد مقتل أبيها وزوجها ، وأحسن إليها بأن أعتقها وتزوجها بعد فتح خيبر سنة

1- المرجع السابق ص436. 2- نفسه ص 435.

7هـ. وتزوجها صلى الله عليه وسلم باختيار منها بعد عتقها ، فاختارته زوجا عن رضا وقبول لأنها كانت تعلم أنه رسول الله حقا وصدقا بعد رؤيا فى منامها .وكانت قد سمعت من أبيها اعترافا بنبوته، وعزمه معاداته ما بقى على قيد الحياة .فأى لوم يقع على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك وقد أعتقها وجعلها حرة وجعل قرارها بيدها ولم يكرهها على شىء وهى التى كانت أسيرة أرملة مسكينة لا حول لها ولا قوة . ألا يخجل الطاعنون فى هذا الأمر عندما يقرأون تاريخ جيوشهم وقادة عسكرهم وما فعلوه بالإنسانية من جرائم حرب لا تليق بالوحوش فى غاباتها؟!!!

زواجه من ميمونة بمنت الحارث رضى الله عنها

وتزوج صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث سنة 7هـ.وهى التى وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم وذلك أن خطبة النبى صلى الله عليه وسلم انتهت إليها وهى على بعيرها فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله ؛ فأنزل الله تعالى (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى). 1

وقد مات من زوجاته اثنتان في حياته صلى الله عليه وسلم وهما خديجة وزينب بنت خزيمة بينما توفى عن تسع منهن.
وأما **الجواري** فهما مارية القبطية التي ولدت إبراهيم وتوفى صغيراً، وريحانة بنت زيد القرظية.

خـــــــــاتمـــــــة

من خلال السطور المتواضعة أعلاه يمكننا أن نتوصل لبعض الحقائق المجملة:

- بدأ تعدد الزوجات من النبى صلى الله عليه وسلم في سن الثالثة والخمسين من عمره . والسؤال لأصحاب العقول:هل هذا التعدد فى هذا السن يعد دليلا على الشهوة؟!! ثم هل الذى يشته النساء يتزوج أغلبهن من الثيّبات وأمهات الأولاد والأرامل؟!! كيف وقد عُرض عليه صلى الله عليه وسلم خيرة بنات قريش فأبى؟!!

2- تعدد زوجاته صلى الله عليه وسلم كان بإذن من الله تعالى ، أم أنكم نسيتم معشر الطاعنين أنه نبى مرسل قد قامت الأدلة والبراهين الكافية على نبوته ، وأعظمها دلالة معجزته الخالدة :القرآن الكـــــريم. وعندما حرم الله تعالى عليه أن يتزوج بعد عدد معين من الزوجات؛ نزل على حكم الله تعالى . اقرأوا إن شئتم قول الحق:

1- السيرة النبوية، بن هشام الحميرى، طبع وزارة الأوقاف ، قطر 2009،ص1127.

(لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا) الأحزاب 52.

3- كان النبى صلى الله عليه وسلم مأمورا بتزكية وتثقيف قوم لم يكونوا يعرفون شيئا من آداب الثقافة والحضارة والتقيد بلوازم المينة والمساهمة فى بناء مجتمع وتعزيزه .

والمبادىء التى كانت أسسا لبناء المجتمع الإسلامى لم تكن تسمح ، للرجال أن يختلطوا بالنساء ، فلم يكن يمكن تثقيفهن مباشرة مع المراعاة لهذه المبادىء مع أن مسيس الحاجة إلى تثقيفهن لم يكن أهون وأقل من الرجال بل كان أشد وأقوى . وإذن فم يكن للنبى صلى الله عليه وسلم سبيل إلا أن يختار من النساء المختلفة الأعمار والمواهب ما يكفى لهذا الغرض،فيزكيهن ويربيهن ويعلمهن الشرائع والأحكام ويثقفهن بثقافة الإسلام حتى يعدهن لتربية البدويات والحضريات العجائز منهن والشابات فيكفينه مؤنة التبليغ فى النساء.

4- إن التعدد كله لحكم منها - فضلا عما سبق- بيان كل ما يقع في بيت النبوة من أحكام عملاً بقوله تعالى:"واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة" الأحزاب 34. وإذا كان الحكم الشرعي لا يثبت بخبر الواحد غالباً فإن للتعدد أثره في إثبات الأحكام بالتواتر، كما أن زوجات الرسول - اختلفت أحوالهن بين غنى وفقرٍ وحسب ونسب. ولكل من يتزوج بأي صورة من هذه الصور قدوة في حياة الرسول- صلى الله عليه وسلم. وقدوة أخرى ببيان كل ما يمكن أن يقع من النساء داخل البيت النبوى كالغيرة والصبر والتواضع ونشر العلم والرضى...الخ .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين